قراءة القرآن من الداخل — سلسلة أوراق بحثية

الورقة الخامسة

المنظومة الرباعية — كيف يتخذ الإنسان قراره فعلاً

مقدمة منهجية

أولاً: نقطة البداية

هذه الورقة هي **الخامسة** في سلسلة تقرأ النص القرآني بشروطه الخاصة — تدرس كل لفظ في جميع سياقاته عبر النص كاملاً قبل تحديد معناه، لا تفترض مرادفاً، ولا تستعير إطاراً من الخارج.

الأوراق **الأربع السابقة** بنت منظومة كاملة: الدين كنظام يُمارَس لا هوية تُحمل، الله والرب كمصدرية مطلقة ووظيفة تربوية علائقية، الإنسان في نشأته الثلاثية (البشر، الإنسان، النفس)، والنشأة الأخرى كإطار وجودي لولادة الوعي والتكليف.

هذه الورقة **الخامسة** تصل إلى السؤال الذي تجعله الأوراق السابقة حتمياً: **كيف يتخذ الإنسان قراره فعلاً؟** ما الآلية الداخلية التي يُنتج من خلالها الكسب الذي تحمله النفس إلى الأمام؟

وفق هذا الاستقراء، يقترح النص نموذجاً مختلفاً عن كثير من النماذج الثنائية الشائعة في الأدبيات الفقهية.

الآلية رباعية: **الصدر والفؤاد والقلب والنفس اللوامة** — أربع أدوات مستقلة لكل منها وظيفة محددة — والمساءلة موزعة عبر هذه المنظومة.

ثانياً: التمييز المحوري

الورقة التي تؤسس هذه الورقة **الخامسة** تُقدّم تمييزاً ظل الفهم التقليدي يُقلّل من أهميته:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾** — البقرة: 225**

- **اللغو** — ما يمر عبر الإنسان دون أن يُشغّل آلية الكسب.

- **ما كسبت قلوبكم** — ما مرّ بالمنظومة الرباعية كاملة وبُني فيه ما تحمله النفس إلى الأمام.

التمييز ليس بين المقصود وغير المقصود بالمعنى الثنائي البسيط. بل بين ما أشغل المنظومة وما لم يُشغّلها.

ثالثاً: ملاحظة منهجية حول "القلب"

في النص، كالتعقل والفقه والكسب والإيمان "القلب" لا يربط الاستقراء القرآني بين العضلة القلبية وأي وظيفة من الوظائف المنسوبة إلى قرآنياً لمركز وظيفي، دون افتراض عضو تشريحي بوصفه اسماً "القلب" والخشوع والقسوة والطمأنينة. لذلك تستعمل هذه الدراسة لفظ بعينه. أما تحديد المقابل البيولوجي لهذا المركز فمسألة علمية مستقلة لا يحسمها الاستقراء اللغوي وحده.

رابعاً: منهجية البحث

يميز هذا البحث بين مستويين: (1) نتائج يثبتها الاستقراء المباشر للنص، مثل التمييز بين الصدر والفؤاد والقلب والنفس، و(2) نموذج تفسيري يقترح كيفية تفاعل هذه الوظائف معاً. ولا يدّعي البحث أن كل عنصر من عناصر النموذج منصوص عليه صراحة، وإنما يقدمه بوصفه فرضية تفسيرية قابلة للاختبار والتطوير.

خامساً: من يخاطبه النص؟

المنظومة الرباعية تعمل في كل إنسان واعٍ — بصرف النظر عن جماعته أو تقليده أو اعتقاده. هي الآلية الداخلية التي إما يُمارَس من خلالها علم المعنى أو يُرفض، التي يكسبُ بها القلب في اتجاه أو آخر، التي تبني بها النفس ما ستحمله إلى النشأة الآخرة.

﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ — الواقعة: 76**

الشرط هو العلم. المنظومة تعمل بالفعل. السؤال الوحيد هل يعلم الإنسان ما هي وكيف تعمل.

المحور الأول: المنظومة الرباعية — كيف يتخذ الإنسان قراره فعلاً

أولاً: المشكلة في مفهوم النية

:كل تقليد قانوني وأخلاقي يعترف بأن الإنسان ليس مسؤولاً كلياً عن كل ما يمر في ذهنه. النص القرآني يُصرّح بهذا

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ — البقرة: 225**

التمييز بين ما يمر عبر الشخص وما يبنيه الشخص فعلاً. بين غير المقصود والمقصود. بين اللغو — عديم الوزن، عديم الارتساء — .والكسب — المكتسَب، المبني، المختار فعلاً

.لكن القراءة التقليدية تتوقف هنا — كأن النية شيء واحد بسيط. إما قصدت شيئاً أو لم تقصده

وفق هذا الاستقراء، يقترح النص نموذجاً مختلفاً عن كثير من النماذج الثنائية: **منظومة رباعية** يتحرك خلالها القرار الإنساني — .أربع أدوات مستقلة لكل منها وظيفة محددة — والمساءلة موزعة عبر هذه المنظومة

.الأدوات الأربع هي: **الصدر، الفؤاد، القلب، النفس اللوامة**. وهي ليست مترادفات

ثانياً: الأدوات الأربع — الوظائف والتسلسل

الأداة الأولى — الصدر: الحاوية التي تستقر فيها الاتجاهات

:محاور دلالية جذر **ص-د-ر** في المعاجم القديمة يدل على ثلاثة

1. **الحاوية / المقدمة**: مقدَّم كل شيء (صدر الكتاب، صدر النهار، صدر الجيش). **

2. **الانبعاث من الداخل إلى الخارج**: خروج الشيء من موضعه الداخلي إلى الظاهر (صدر عن رأيه، صدر الأمر).

3. **الرجوع والانصراف**: صدر القوم عن الماء أي انصرفوا عنه.

هذه المحاور الثلاثة ليست معاني متفرقة، بل هي تعبيرات مختلفة عن حركة جوهرية واحدة: **حركة من الداخل إلى الخارج، أو من موضع إلى آخر**.

وفي سياق المنظومة الرباعية، نركز على الوظيفة الأولى (المقدمة / الحاوية)، لأن الصدر هو مقدمة الجسد، وهو ما يتوجه أولاً، وهو الحاوية التي تستقر فيها الاتجاهات قبل أن تتحول إلى عمليات إدراكية داخل المنظومة. الصدر المنشرح يتسع لاتجاه واحد واضح. الصدر الضيق لا يستقر فيه اتجاه.

النص يصف هذه الوظيفة:

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ — الأنعام: 125**

الانشراح والضيق ليسا حالتين عاطفيتين. بل مؤشران على اتساع الحاوية وضيقها — هل تتسع للتوجه نحو النظام الحقيقي أم تضيق عنه. الصدر المنشرح هو من استقر فيه الاتجاه. الصدر الضيق هو من لم يستقر فيه اتجاه — بصرف النظر عن المبررات التي تتبع.

لهذا يحدد النص خطر الوسوسة في هذه النقطة بالذات:

﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ — الناس: 5**

الوسوسة تدخل الحاوية قبل أن تستقر فيها الاتجاهات. من يتحكم في ما يدخل الصدر يتحكم في كل ما يتبعه. الاتجاه الذي يستقر في الصدر يحدد مسار كل أداة لاحقة.

الأداة الثانية — الفؤاد: اشتعال البحث ####

جذر **ف-أ-د** يعني: الاحتراق والاشتعال والتوهج بالحرارة. الفؤاد ليس حيث تُتخذ القرارات — بل حيث يشتعل البحث. حين يستقر في الصدر اتجاه، يشتعل الفؤاد في ذلك الاتجاه.

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾** — الإسراء: 36**

الفؤاد مسؤول مع السمع والبصر — لأنه يحدد ما يُفعَل بما يُسمع ويُرى. المدخل ذاته، يستقبله فؤادان موجّهان في اتجاهين مختلفين، سيُشعل بحثين مختلفين.

﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾** — إبراهيم: 43**

الفؤاد الذي لا يشتعل — الذي لا يتوهج نحو شيء — لا ينتج بحثاً حقيقياً وبالتالي لا انخراطاً حقيقياً مع ما هو واقعي.

ويقترح هذا البحث أن الفؤاد، بعد اشتعال التوجه، يعيد تنظيم المدخلات الحسية والذاكرية بما يخدم الاتجاه القائم. ويظل هذا نموذجاً تفسيرياً يحتاج إلى اختبار نصي أوسع.

الأداة الثالثة — القلب: المركز الوظيفي ####

جذر **ق-ل-ب يعني: **التحول والانقلاب + الجمع والضم + الضد والتناقض.

القلب في القرآن ليس أداة أحادية الوظيفة. هو **المركز الوظيفي** الذي يُنسب إليه في النص عدد من العمليات: التعقل (الحج: 46)، والفقه (الأعراف: 179)، والكسب (البقرة: 225)، والخشوع، والطمأنينة، والقسوة.

يقترح هذا البحث أن هذه العمليات المنسوبة إلى القلب يمكن فهمها بوصفها **ثلاث عمليات وظيفية مترابطة** ولا يدّعي البحث أن هذا التقسيم الثلاثي منصوص عليه في القرآن بلفظه، وإنما يقترحه بوصفه أفضل نموذج تفسيري يجمع الوظائف المختلفة المنسوبة إلى القلب في بنية واحدة قابلة للاختبار: التعقل، ثم التحويل، ثم التكوين. ويظل هذا الترتيب **نموذجاً تفسيرياً يحتاج إلى مزيد من الاختبار النصي** — فالاستقراء يثبت وجود هذه الوظائف، لكن ترتيبها الزمني الداخلي يحتاج إلى اختبار أوسع على النص.

"فهم + قرار" ⟵ العملية المقترحة (1): التعقل #####

.**جذر **ع-ق-ل** يعني: **الحبس والمنع + الحفظ والوعي

:**العقل في القرآن ليس أداة مستقلة، بل **وظيفة من وظائف القلب

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾** ⟵ الحج: 46**

:التعقل هنا = فهم المعنى + اتخاذ القرار (بمعنى الحبس والمنع). حين يعقل القلب، فهو

.يفهم المعنى (الإدراك) -

.يحبس نفسه عن البدائل الأخرى (المنع) -

.يحفظ ما قرر (الالتزام) -

.حالة إدراكية مستقرة تمثل اختياراً محدداً ⟵ (Decision) **"قرار"** :**الناتج الوظيفي المقترح**

"قرار ← التزام" ⟵ العملية المقترحة (2): التحويل #####

القلب يأخذ ما جمعه الفؤاد وما عُقِل منه، ويحوّله إلى موقف والتزام. هذه ⟵ إن صحّ الترتيب المقترح ⟵ لحظة التحول (الانقلاب) من .''أنا ملتزم'' إلى ''أنا أقرر''

﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾** ⟵ البقرة: 225**

الكسب يحدث في القلب. لا في الصدر ⟵ الذي يستقر فيه الاتجاه. لا في الفؤاد ⟵ الذي يشتعل ويجمع. في القلب ⟵ الذي يعقل، ثم .يحوّل ما عُقِل إلى التزام مبني فعلاً

.حالة إرادية مستقرة تمثل تبنياً للقرار ⟵ (Commitment) **"التزام"** :**الناتج الوظيفي المقترح**

"التزام ← كسب" — العملية المقترحة (3): التكوين #####

، بل هو — إن صحّ النموذج — **نتيجة عملية تعقلية وتحويلية متكاملة**. القلب الذي يعقل (يفهم + "تحويل" الكسب ليس مجرد .يقرر) ثم يحوّل (يلتزم) ثم يكسب (يبني) — هذا هو القلب الفعّال

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾** — الشعراء: 88-89**

.القلب السليم = القلب الذي فعّل وظائفه الثلاث (التعقل + التحويل + التكوين) بشكل صحيح

.بنية وجودية مستقرة تُحمَل إلى النشأة الأخرى — (Acquisition) **"كسب"** :**الناتج الوظيفي المقترح**

:الجدول التوضيحي للعمليات المقترحة داخل القلب #####

| العملية المقترحة | الوظيفة | الجذر | الناتج المقترح |

|---|---|---|---|

| التعقل** | فهم + قرار | ع-ق-ل (الحبس والمنع) | قرار** |

| التحويل** | قرار ← التزام | ق-ل-ب (التحول) | التزام** |

| التكوين** | التزام ← كسب | ك-س-ب (الاكتساب) | كسب** |

الأداة الرابعة — النفس اللوامة: التدخل الأخير ####

﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾** — القيامة: 2**

النفس اللوامة ليست مرحلة في العملية — بل الشاهد الذي يُراقب العملية. هي الأداة التي تستطيع التدخل في أي نقطة — لكن لحظتها .الأكثر حسماً هي الأخيرة: اللحظة التي تسبق تنفيذ القرار

لوّامة — من جذر ل-و-م — يعني: يلوم ويُعاتب ويُحاسب. النفس اللوامة هي الأداة التي تعلم حين سارت العملية في الاتجاه الخاطئ — حين استقر في الصدر اتجاه زائف، حين اشتعل الفؤاد تأييداً لنية فاسدة، حين يوشك القلب على كسب ما لا ينبغي له كسبه.

تدخلها في اللحظة الأخيرة هو الفرصة الأخيرة للمنظومة لتصحيح نفسها قبل اكتمال الكسب.

ثالثاً: الإغلاق الداخلي

النص يُغلق هذا المحور بآية تضع المنظومة الرباعية كاملة في علاقتها بالمساءلة — وتسمي بدقة أين ينتهي اللغو ويبدأ الكسب:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ — البقرة: 225**

اللغو — من جذر ل-غ-و، يعني ما لا وزن له ولا وظيفة ولا عاقبة في بنية الواقع — هو ما يخرج من الإنسان قبل أن تُشغَّل المنظومة الرباعية. الكلمة التي تفلت قبل أن يستقر في الصدر اتجاه. اليمين الذي يمر قبل أن يشتعل الفؤاد. التصريح الذي يخرج قبل أن يعقل القلب ويحوّل ويكوّن.

الكسب — ما بناه القلب — هو ما مرّ بالمنظومة. ما استقر في الصدر من اتجاه. ما اشتعل الفؤاد نحوه. ما عقَله القلب (فهم + قرر). ما حوّله القلب إلى التزام. ما كسبه القلب. ما أصلحته النفس اللوامة أو أخفقت في إصلاحه في اللحظة الأخيرة.

الاسمان اللذان يختتمان الآية ليسا تزيينيين:

- **غفور** — من يستر ما لم يُكسَب، ما مرّ دون أن تُشغّل المنظومة، ما حمله اللغو بعيداً.

- **حليم** — من لا يتعجل الحكم. من يسمح للعملية بالاكتمال. من لا يُؤاخذ الإنسان على ما دخل الصدر أولاً إذا تدخلت النفس اللوامة وكسب القلب بطريقة مختلفة.

المنظومة هي مكان المساءلة. وهي — وفق هذا الاستقراء — تقدم تصوراً مختلفاً للنية من التصورات الثنائية الشائعة.

المحور الثاني: الوسوسة في الصدر — كيف تُفسَد المنظومة من مصدرها ##

أولاً: أين يدخل الهجوم

المنظومة الرباعية — الصدر والفؤاد والقلب والنفس اللوامة — منظومة بالغة الدقة. مساءلتها موزعة عبر أربع أدوات مستقلة لكل منها وظيفة محددة. عدالتها مبنية في بنيتها: لا يُؤاخَذ الإنسان إلا بما مرّ بالعملية كاملة.

لكن للمنظومة نقطة ضعف واحدة قصوى — والنص يحددها بدقة.

الهجوم لا يدخل من القلب — حيث يحدث التعقل والتحويل والتكوين. لا يدخل من الفؤاد — حيث يشتعل البحث. لا يدخل من النفس اللوامة — حيث يُحاوَل التصحيح.

يدخل من الصدر — حيث تستقر الاتجاهات.

﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ — الناس: 5**

المنطق دقيق: من يتحكم في ما يستقر في الحاوية يتحكم في كل ما يتبعه. فؤاد يشتعل في اتجاه فاسد سيجمع مادة فاسدة. قلب يعقل مادة فاسدة سيقرر قراراً فاسداً. قلب يحوّل مادة فاسدة سيكسب فساداً. نفس لوامة تواجه التزاماً مبنياً بالفعل ستضطر للعمل ضد زخم المنظومة كلها التي سبقتها.

أكثر الهجمات كفاءة على أي منظومة هو الهجوم في مصدرها. والنص يصف هذا بالضبط.

ثانياً: طبيعة الوسوسة

النص لا يصف الوسوسة كتدخل صاخب. يصفها كشيء يعمل عند عتبة الوعي — حاضر بما يكفي لإعادة توجيه الصدر، دقيق بما يكفي للإفلات من النفس اللوامة.

الاسم الذي يستخدمه النص لمصدر الوسوسة دقيق:

﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ — الناس: 4**

الوسواس — من جذر و-س-و-س، صوت الحفيف، شيء بالكاد مسموع يتحرك أسفل عتبة الإدراك الواعي. لا أمر. لا حجة. ** اقتراح يمتصه الصدر قبل أن تُنشَّط النفس اللوامة.

الخنّاس — من جذر خ-ن-س، يعني: التراجع والانسحاب والاختفاء بعد الفعل. الموسوس لا يبقى ليُفحَص. يوجّه الصدر ثم يختفي ** — تاركاً الاتجاه الفاسد في مكانه كأنه التوجه الأصلي.

هذا ما يجعل الوسوسة دقيقة الأثر تحديداً: بحلول الوقت الذي يبدأ فيه الفؤاد الاشتعال والقلب يبدأ التعقل والتحويل، يكون فساد الصدر الأصلي قد امتُصّ بالفعل في المنظومة كشرط ابتدائي لها. لا يشعر الإنسان بأنه أُعيد توجيهه. يشعر بأنه يتحرك في الاتجاه الذي كان يواجهه بالفعل.

ثم يُقدّم النص ملاحظة بنيوية بالغة الأهمية:

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ — الناس: 6**

مصدر الوسوسة ليس خارقاً حصراً. بل هو أيضاً بشري. يستطيع بشر آخرون أداء وظيفة الخنّاس — إعادة توجيه صدر من حولهم عبر الاقتراح والتأطير والتشكيل الخفي لاتجاه النية — قبل التراجع عن المرئية.

ثالثاً: الترياق — نموذج تفسيري مقترح

النص يُقدّم ترياقاً للوسوسة في سورة الناس:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَٰهِ النَّاسِ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾** — الناس: 1-4**

ثلاثة أسماء لله تسبق ذكر الوسوسة. هذا التسلسل ليس عشوائياً.

في ملاحظة منهجية حاسمة**: الربط الدقيق بين كل اسم وأداة محددة من أدوات المنظومة يحتاج إلى استقراء شامل لمواضع كل اسم** القرآن. لذلك نقدم هنا **نموذجاً تفسيرياً مقترحاً** (يحتاج إلى اختبار):

- الرب** (المربّي والمنمّي) — قد يعمل على مستوى **الصدر** (مصدر الاتجاه). الاستعاذة بالرب قد تكون إعادة توجيه الصدر ** إلى مصدره الحقيقي.
- الملك** (الحاكم والمنظّم) — قد يعمل على مستوى **الفؤاد** (البحث الذي يشتعل). الاستعاذة بالملك قد تكون إخضاع اشتعال ** الفؤاد للحوكمة.
- الإله** (الموضوع النهائي للتوجه) — قد يعمل على مستوى **القلب** (التعقل والتحويل والتكوين). الاستعاذة بالإله قد تكون ** إعادة توجيه ما يعقله القلب ويكسبه نحو من تعود إليه كل المكتسبات.

تحذير منهجي صريح**: هذا النموذج التفسيري **مقترح وليس مُثبتاً بالاستقراء الشامل**. هو يحتاج إلى اختبار بتتبع كل مواضع** في القرآن، وإثبات أن كل اسم يرتبط بوظيفة محددة من وظائف المنظومة. حتى يُثبت هذا الاستقراء، يبقى "الإله"و "الملك"و "الرب" الربط **فرضية عمل** لا حقيقة بنيوية.

ما هو مؤكد:

- الاستعاذة بالأسماء الثلاثة هي **إعادة تشغيل المنظومة** من مصدرها.
- ويقترح هذا النموذج أن **النفس اللوامة** هي ما يؤدي الاستعاذة. هي الأداة التي تُدرك دخول الوسوسة، تطلب التصحيح، وتُعيد تشغيل كل أداة بوظيفتها الحقيقية.

رابعاً: الإغلاق الداخلي

الدائرة الكاملة: الوسوسة تُفسد من المصدر إلى الخارج. الاستعاذة تُصلح من المصدر إلى الخارج. والنفس اللوامة هي في آنٍ واحد ما تحاول الوسوسة إسكاته ما تُعيد الاستعاذة تنشيطه.

المحور الثالث: اللغو والمؤاخذة — ما تُنتجه المنظومة وما لا تُنتجه

أولاً: ما هو اللغو فعلاً

تعامل اللغو كفئة قانونية ضيقة: اليمين غير المقصود، الكلمة المقولة دون قصدها "لا يؤاخذكم الله باللغو"القراءة التقليدية لـ.

لكن جذر ل-غ-و يُثبت شيئاً أدق وأشمل.

اللغو** — من جذر ل-غ-و — يعني: ما لا وزن له ولا وظيفة ولا عاقبة في بنية الواقع. ما يمر دون ارتساء. الصوت الذي لا ** يحمل معلومة. الحركة التي لا تنتج نتيجة.

في استخدام النص الخاص، يظهر اللغو في سياقات تُثبت هذا المعنى الأوسع:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾** — القصص: 55**

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾** — الواقعة: 25**

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾** — المؤمنون: 3**

في كل سياق — اللغو هو ما لا وزن حقيقي له، ولا وظيفة حقيقية، ولا عاقبة فعلية في النظام. ليس بالضرورة إثماً. ببساطة عديم الوزن — لا يُشغّل آلية الكسب.

مُطبَّقاً على المنظومة الرباعية**: اللغو هو ما يخرج من الإنسان قبل أن يستقر في الصدر اتجاه، قبل أن يشتعل الفؤاد، قبل أن يعقل **
.القلب ويحوّل ويكوّن. يمر عبر — ولا يُسجَّل شيء لأنه لم ينتج شيئاً في المنظومة

ثانياً: ما هي المؤاخذة فعلاً

.إذا كان اللغو ما يمر عبر المنظومة دون أن يُشغّلها — فما يُؤاخِذ به النص الإنسانَ هو بالضبط ما يُشغّل المنظومة كاملاً

.جذر مؤاخذة — أ-خ-ذ — يعني: يأخذ ويُمسك، يُحاسب على ما أخذه الشخص فعلاً وبناه

﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾** — البقرة: 225**

:المساءلة تتبع الكسب. والكسب — كما يُقترح في المنظومة الرباعية — نتيجة العملية الكاملة

.صدر** استقر فيه اتجاه**

.فؤاد** اشتعل نحو ذلك الاتجاه وجمع ما أيّده**

.قلب** عقَل (فهم + قرر) ما جُمع، ثم حوّل ما عُقِل إلى التزام، ثم كوّن ما يُحمَل إلى النشأة الأخرى**

.نفس لوامة** إما تدخّلت وأعادت التوجيه — أو أخفقت في التدخل وسمحت باكتمال الكسب**

ما مرّ بهذه العملية الكاملة هو ما يُسجَّل. وما لم يمر بها — ما كان لغواً، عديم الوزن، غير مرتسٍ — يستره الغفور ويحمله الحليم
.بصبر

.هذا — وفق هذا الاستقراء — يقدم تصوراً مختلفاً للمساءلة، يقوم على مراحل متعددة بدلاً من الثنائية التقليدية

.التقليد القانوني البشري يسأل: **هل قصدت هذا؟** سؤال ثنائي بجواب ثنائي

:**النص — وفق هذا النموذج — يطرح **ست مراحل تحليلية في نموذج المساءلة المقترح

1. هل استقر في صدرك اتجاه نحو هذا؟

2. هل اشتعل فؤادك في هذا الاتجاه؟

3. هل عقّل قلبك هذا (فهم + قرر)؟

4. هل حوّل قلبك ما عُقِل إلى التزام؟

5. هل كوّن قلبك هذا كسباً؟

6. هل أُتيح للنفس اللوامة التدخل — وماذا فعلت؟

.ست مراحل تحليلية. أربع أدوات.** — موزعة عبر المنظومة**

ثالثاً: الإغلاق الداخلي

:النص يُغلق هذا المحور — والحجة الكاملة لهذه الورقة — بآية تضع منظومة المساءلة الكاملة في علاقتها بما أثبتته السلسلة

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾** — الزلزلة: 7-8**

.الذرة — أصغر وحدة مسجلة — تظهر هنا كوحدة المحاسبة الأخروية

لا شيء يمر عبر المنظومة الرباعية يفلت من التسجيل. الصدر الذي استقر فيه اتجاه — مسجَّل. الفؤاد الذي اشتعل نحوه — مسجَّل. القلب الذي عقّل — مسجَّل. القلب الذي حوّل — مسجَّل. القلب الذي كوّن — مسجَّل. النفس اللوامة التي تدخّلت أو أخفقت في التدخل —. مسجَّلة

ولا شيء لم يمر عبر المنظومة — اللغو، عديم الوزن، غير المرتسي — يُؤاخَذ به الإنسان. لأنه لم ينتج شيئاً في المنظومة. والمنظومة .تُسجّل ما يُنتَج لا ما يمر دون إنتاج

هذا يربط الورقة الخامسة بالأوراق السابقة بدقة تُغلق السلسلة على مستوى جديد:

أثبتت الورقة الأولى أن الدين نظام يُمارَس. أثبتت الورقة الثانية التمييز بين الله والرب كمصدرية ووظيفة. أثبتت الورقة الثالثة التمييز الوظيفي بين المصطلحات الأربعة. أثبتت الورقة الرابعة الإطار الوجودي الثلاثي الذي يحدد أين يحدث الكسب.

وهذه الورقة الخامسة تقترح الآلية الداخلية التي يُنتَج من خلالها ما يُقدَّم: المنظومة الرباعية من الصدر والفؤاد والقلب والنفس اللوامة — التي يتحرك خلالها القرار الإنساني، والتي يُبنى من خلالها ما تحمله النفس إلى النشأة الآخرة.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾** — البقرة: 225**

مناقشة: آفاق للبحث المستقبلي

فرضية تفسيرية قابلة للاختبار: الأسماء الثلاثة والمنظومة الرباعية

في المحور الثاني، قدمنا نموذجاً تفسيرياً مقترحاً يربط بين الأسماء الثلاثة في سورة الناس (الرب، الملك، الإله) وأدوات المنظومة الرباعية (الصدر، الفؤاد، القلب). هذا الربط — كما أوضحنا — **ليس نتيجة استقرائية نهائية**، بل هو فرضية عمل تحتاج إلى اختبار منهجي.

مسار الاختبار المقترح:

1. في القرآن، وتصنيفها وظيفياً (هل ترتبط بالتربية والتنمية والتوجيه؟) "الرب" تتبع كل مواضع اسم.
2. في القرآن، وتصنيفها وظيفياً (هل ترتبط بالحوكمة والتنظيم والسلطان؟) "الملك" تتبع كل مواضع اسم.
3. في القرآن، وتصنيفها وظيفياً (هل ترتبط بالمصير النهائي والعودة والمحاسبة؟) "الإله" تتبع كل مواضع اسم.
4. مقارنة النتائج مع الوظائف المقترحة للصدر والفؤاد والقلب.

إذا ثبت أن كل اسم يرتبط بوظيفة محددة من وظائف المنظومة، يصبح النموذج **حقيقة بنيوية**. وإذا لم يثبت، يبقى النموذج **فرضية مرفوضة** — وهذا بحد ذاته نتيجة علمية قيّمة.

.هذا المسار هو مثال على كيفية تحويل الاستقراء النصي إلى برنامج بحثي قابل للاختبار والتطوير

الخاتمة: المنظومة التي يتكون عبرها الكسب

.الأوراق **الخمس** في هذه السلسلة اتبعت حجة واحدة من **خمسة** اتجاهات

بدأت الحجة بالدين كنظام يُمارَس لا هوية تُحمل. تحركت عبر الله والرب كمصدرية مطلقة ووظيفة تربوية. تحركت عبر الإنسان في .نشآته الثلاثية. تحركت عبر النشأة الأخرى كإطار وجودي لولادة الوعي والتكليف

:والآن، في هذه الورقة **الخامسة**، وصلت السلسلة إلى الآلية الداخلية التي يُتخذ بها الاختيار

.المنظومة الرباعية — الصدر والفؤاد والقلب والنفس اللوامة — التي يتحرك خلالها القرار الإنساني

لا ثنائية بسيطة بين المقصود وغير المقصود. لا لحظة اختيار واحدة إما تُتخذ أو لا تُتخذ. بل عملية من **أربع أدوات** و**ست مراحل .**تحليلية في نموذج المساءلة المقترح

المساءلة التي تتبع هذه المنظومة ليست مساءلة التقليد القانوني البشري — الذي لا يسأل إلا هل قصد الشخص شيئاً أم لا. بل هي مساءلة منظومة تقترح أن الحساب يقع على ما مرّ عبر مراحلها الست، وما لم يمر بها — اللغو، عديم الوزن، غير المرتسي — لا يُؤاخَذ به .الإنسان

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾** — الزلزلة: 7-8**

الذرة هي الوحدة. المنظومة الرباعية هي الآلية. والنشأة الآخرة تستقبل ما بنته النشأة الأخرى — لا ما مرّ عبرها دون أن يُشغّل آلية .الكسب

:السلسلة تصل — كما بدأت — بسؤال واحد

﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾** — الواقعة: 76**

.وتقترح هذه الدراسة أن المنظومة الرباعية تمثل البنية التي يتكون عبرها الكسب الذي يقع عليه الحساب

لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

المراجع

أولاً: المعاجم العربية المعتمدة

.ابن منظور، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، د.ت .1

.الزبيدي، مرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، الكويت: وزارة الإعلام، 1965-2002 .2

.ابن فارس، أبو الحسين أحمد، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر، 1979 .3

الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم .4
.للملايين، 1987

.الأزهري، محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1964-1967 .5

ثانياً: المصاحف والتفاسير المعتمدة

.القرآن الكريم** (رسم المدينة النبوية)** .1

.الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة: دار المعارف، 1950-1969 .2

.الرازي، فخر الدين، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ .3

ثالثاً: الأوراق السابقة في السلسلة

EL-ASSAL, I. (2026). المنظومة الإيمانية العلمية — الورقة 0: الإطار المفاهيمي. Zenodo. https://doi.org/10.5281/zenodo.21002494
EL-ASSAL, I. (2026). الدين في القرآن: نظام يُمارَس لا هوية تُحمل. Zenodo. https://doi.org/10.5281/zenodo.20864353.
EL-ASSAL, I. (2026). قراءة القرآن من الداخل — الورقة 2: الله والرب. Zenodo. https://doi.org/10.5281/zenodo.2100889
EL-ASSAL, I. (2026). البشر والروح والإنسان والنفس. Zenodo. https://doi.org/10.5281/zenodo.21013129
العسال, . أسماعيل . (2026). النشأة الأخرى: الإطار الوجودي الثلاثي في الخطاب القرآني. Zenodo. https://doi.org/10.5281/zenodo.21104288

Copyright

2026 ©إسماعيل العسّال. جميع الحقوق محفوظة. هذا العمل مرخّص تحت CC BY-NC-ND 4.0. يُسمح بالاستخدام غير التجاري مع نسب العمل لمؤلفه ويُمنع الاشتقاق أو التعديل أو الترجمة دون إذن مسبق.
© 2026 Ismail El-Assal. All rights reserved. This work is licensed under CC BY-NC-ND 4.0. Non-commercial use with attribution is permitted. No derivatives, modifications, or translations are allowed without prior permission.